التواضع في الديانة المسيحية
دراسة وصفية

أ.م.د. خالد احمد حسين
جامعة بغداد/ كلية التربية – ابن رشد للعلوم الإنسانية/ قسم علوم القرآن
nasermkei@yahoo.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

يُعدُّ التواضع دليل على طهارة النفس وسلامة القلب من أمراض التكبر والخيلاء، ويمثل ركناً مهماً في تكوين شخصية الفرد وسلوكه، كونه يدعو إلى المحبة والمودة والترابط، ووسيلة لتحرير القلوب من أغلال الحسد والكراهية، وقد وردت كلمة (التواضع) في الكتاب المقدس في مواطن عديدة، لذا حثّت الديانة المسيحية على اتباعها للالتزام به، وقد جاءت الدراسة لبيان معنى التواضع، وأهميته، وصور من تواضع السيد المسيح (عليه السلام) تحت عنوان (التواضع في الديانة المسيحية/ دراسة وصفية).

وقد قسّمت البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، يتضمن التمهيد: معنى التواضع في اللغة والاصطلاح، أما المبحث الأول فقد خصص لدراسة التواضع في الكتاب المقدس، وخصص المبحث الثاني لبيان أهمية التواضع، أما المبحث الثالث فاعتنى بدراسة تواضع السيد المسيح (عليه السلام) .

الكلمات المفتاحية: الكتاب المقدس، المسيح، التواضع، الخشوع

المقدّمة:

الحمد لله حقَّ حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرِّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد حثّت الديانة المسيحية على التمسك بالكثير من الأخلاق السامية والفضائل الحميدة وعلى رأسها التواضع، إذ وردت نصوص إنجيلية عدّة، تدعو إلى الالتزام به والابتعاد عن التكبر، وهذا يتجلى بتحلي الشخص المتواضع باحترام الأشخاص المحيطين به، وإن كان يتميز عنهم بمركز أو بمال أو نسب، فهو يتعامل معهم بمودة، محاولاً كسب محبتهم، فضلاً عن ذلك فإنه يُعدُّ عاملاً أساسياً للتشجيع على

التعاون فيما بينهم للحد من انتشار الخلافات وقمع الأزمات، وهذا ما دعاني للخوض في غمار هذا الموضوع: (التواضع في الديانة المسيحية/ دراسة وصفية)، وقد قسّمت الدراسة على تمهيد وثلاثة مباحث، تسبقهم مقدمة وتعقبهم خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، وقد خصص التمهيد لدراسة مفهوم التواضع لغةً واصطلاحاً، أما المبحث الأول فقد خصص لدراسة التواضع في الكتاب المقدس، وجاء المبحث الثاني لبيان أهمية التواضع في الديانة المسيحية، والمبحث الثالث فاعتنى بدراسة تواضع السيد المسيح (عليه السلام).

التمهيد: تعريف التواضع لغةً واصطلاحاً

التواضع لغةً: التَّذلُّلُ، وتواضع الرّجلُ: إذا تذلَّل، وقيل: ذلَّ وتخاشع، وهو مأخوذ من تواضعت الأرض: انخفضت عمّا يليها، فالتواضع يدلُّ على خفض الشيء(ابن منظور، ٢٠٠٣، ٤٧٣/٨)(Ibn Manzoor, 2003, 8/473).

ومعنى ذلك أن التواضع عكس الاستعلاء والتكبر.

أما اصطلاحاً: (تواضع Humility في الكتاب المقدس بمعنى الاعتدال والاحتشام، المناقض للحب الظهور، فالإنسان المعتدل البعيد عن الإدعاءات الكاذبة، لا يتكل على حكمه الذاتي (اليسوعي، ١٩٨٨، ص٢١٠) (Alyasuai, 1988, P210).

أما التواضع في قاموس الكتاب المقدس: (عكس الكبرياء، وفي الكتاب المقدس هو الفكر الذي لا يهتم بالأمور العالية ولا يرتئي ويسمو فوق ما ينبغي، ويقدّم غيره في الكرامة، فالتواضع من نِعم الله على قلب المؤمن ولا يمكن للإنسان أن يحيا حياة الإيمان بدونه، وإنَّ معرفة الله الذي خلق للإنسان نفساً حيّة، تجعل الإنسان يدركَ المقام السامي الذي منحه الله إيّاه، وتوقظ استعداده لتمجيد خالقه، وإن الله ينزل المتعظمين ويذلّ الأشرار، أما الذين يجتذبهم إليه ويرشدهم إلى معرفة كلمته، فإنه يرفعهم ويعظهم عن طريق إذلاله لهم أولاً؛ لأنَّ المؤمنين يرون في تأديب الرب لهم إرادة الرب وقصده بهم، بينما يكون تأديبه للأشرار خزياً وعاراً لهم، وذلك يعود إلى تعظمهم وشموخهم وتعاليهم عليه، أما الذين يخافون ويرتجون خلاصه، فذلك يُعدُّ سبباً لشكره وحمده) (مجموعة مؤلفين، ٢٠١١م، ص١٠٣٠) (Group of Authors, 2011, P1030).

وقيل: (هو التذلّل والخشوع، وهو نقيض العجب والافتخار؛ لأنَّ العجب ظن كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة لا يستحقها، والتواضع نقيض ذلك؛ لأنه يوجب على صاحبه أن يعرف العيوب والنقصان الذي يعتري نفسه، وأن يعلم أن الفضل

مقسوم بين البشر، ولا يكمل أحدهم نفسه بفضائل غيره) (صليبا، ١٩٨٢، ٣٥٩/١) (Saliba, 1982, 1/359).

وعُرّفَ بأنه: (الموقف السليم الذي يجب على الإنسان، المخلوق الأثيم الخاطئ، أن يقفه في محضر خالقه، وإقرار منه بعجزه الكامل كمخلوق محدد، عن تحقيق مطالب قداسة الله وبرّه)(حبيب، وآخرون، ١٩٩٦، ٢١٠/٥) (Habib, et al. 1996, 5/210).

وقيل التواضع: (معناه الاحترام الصحيح لله، وليس الانتقاص من الذات) (التفسير التطبيقي الكتاب المقدس، ١١٤/١) (Applied Interpretation of the Bible, 1/114).

وعرّف التواضع: (هو الأساس الذي تبنى عليه جميع الفضائل، وهو السور الذي يحمي جميع الفضائل وجميع المواهب) (البابا شنودة الثالث، ٢٠٠١، ص٨) (Pope Shenouda III, 2001, P8).

ومما تقدّم، نرى أن خلق التواضع هو نعمة الله للإنسان يكتمل معه إيمانه الحق، فيكون مكتملاً مقترباً به من الله.

ولا يكون له ذلك إلاّ إذا اتصف بمكارم الأخلاق ومنها خُلُقُ التواضعِ.

المبحث الأول

التواضع في الكتاب المقدس

لقد وردت كلمة التواضع في الكتاب المقدس في سفر أيوب: " الجاعل المتواضعين في العلي فيرتفع المحزونون إلى أمن "(الكتاب المقدس، أيوب، ١١/٥) (Bible, Old Testament, Ayoub, 5/11).

وورد أيضاً في العهد القديم: " إذا تواضع شعبي الذين دعي اسمي عليهم وصلّوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الوردية فإني أسمع من السماء وأغفر خطيئتهم وأبري أرضهم؛ لأنَّ عيناي تكونان مفتوحتين وأذناي مصغيتين إلى صلوات هذا المكان "(الكتاب المقدس، أخبار الأيام الثاني ١٤/٧) (Bible, Old Testament, Second Chronicles, 14/7).

وورد كذلك: " ولما تضايق طلب وجه الرب إلهه، وتواضع جداً أمام غلة آبائه، وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه، ورده إلى أورشليم إلى مملكته. فعلم منسى أن الرب هو الله " (الكتاب المقدس، أخبار الأيام الثاني ١٢/٣٣-١٣) (Bible, Old Testament, Second Chronicles, 33/12-13) ، وغير ذلك من النصوص.

يتضح مما سبق، أن الله تعالى يرفع المتواضعين ويزيدهم من فضله ويستجيب دعائهم، وإنه سبحانه يقبل صلاة من تواضع لعظمته، لذا يجب على المرء أن يكون متواضعاً في أقواله وأفعاله، وهذا ما يؤكده السيد المسيح (عليه السلام) حينما أراد أن يوجه تلاميذه إلى الاقتداء به: " تعلّموا مني فإني وديع ومتواضع القلب "(الكتاب المقدس، متى ١١/٢٩) (Bible, Old Testament, Mataa, 29/11) . فقد كان (عليه السلام) المثل الأعلى للتواضع مع تلاميذه، وقد حثهم عليه حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد.

ومن الأدلة التي يستدلون بها على تواضع السيد المسيح عليه السلام بأنه ظهر على هيئة بشر مطيع لله ﷻ داعياً لاتباعه، لذا عليهم الاقتداء به كما جاء في النص الأنجيلي: " وإذا ظهر بهيأة إنسان أمعن في الاتضاع، وكان طائعاً حتى الموت، موت الصليب. لذلك رفعه الله عالياً، وأعطاه الاسم الذي يفوق كل اسم " (الكتاب المقدس، الرسالة إلى مؤمني فيلبي ٢/٨-١٠) (Bible, Old Testament, The letter to the believers of Philippi, 2/8-10).

وتفسيرهم: (كان يسوع المسيح متواضعاً مستعداً للتخلي عن حقوقه في سبيل طاعة الله وخدمة الناس، فعلينا أن نكون مثل المسيح فنخدم الله والآخرين بدافع المحبة، وليس بدافع الخوف أو الشعور بالذنب) (التفسير التطبيقي الكتاب المقدس، ٢/٢٥٤) (Applied Interpretation of the Bible, 2/254).

فضلاً عن ذلك ما ورد في الرسالة الأولى من بطرس إلى الشباب في امتثالهم للشيوخ : " وأنتم أيها الشبان، أخضعوا للشيوخ. كونوا جميعاً متواضعين بعضكم مع بعض، فكما يقول الكتاب: يقف الله ضد المتكبرين، لكنه ينعم على المتواضعين، إذن تواضعوا تحت يد الله القدير لكي يرفعكم في الوقت المناسب. ألقوا كل همكم عليه؛ لأنه هو يعتني بكم"(الكتاب المقدس، الرسالة الأولى من بطرس ٥/٥-٧) (Bible, Old Testament, The first letter of Peter, 5/5-7).

وهذا ما دأبت عليه الأديان السماوية عِبرَ عصورها المختلفة، ومنها الدين الحنيف الذي يشير إلى التواضع في عدة مواطن، ومنها قوله ﷻ: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** (سورة آل عمران: ١٥٩) (Surat Al Imran: 159) ، وقال ﷻ: **﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**(سورة

القصص: ٨٣) (Surat Alqasas: 83) وهذا يدعو إلى إذابة الفوارق الطبقية، وجعل المجتمع أسرة واحدة متكاتفة متحابّة متجانسة.

المبحث الثاني

أهمية التواضع في الديانة المسيحية

يُعدُّ التواضع من أفضل القيم التي دعت إليها الديانة المسيحية، وعدّته الأساس الأول بين الأخلاق الحميدة التي تعود بالخير على المجتمعات البشرية بشكل عام، وعلى الأفراد بشكل خاص، مستدلين بذلك ما ورد في الكتاب المقدس في العهد الجديد منها قول السيد المسيح (عليه السلام) : " فإني وديع ومتواضع القلب " (الكتاب المقدس، متى ١١/٢٩) (Bible, Old Testament, Mataa, 29/11)، وورد في رسالة بولس إلى مؤمني أفسس وهو يعظهم: " بكل تواضع وداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة " (الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس٤/٢)(Bible, Old Testament, Message Pouls The Apostle to the Ephesis, 2/4).

ومعنى ذلك: (أن التواضع والوداعة من الصفات التي يجب أن يمتاز السلوك المسيحي بها، فالتواضع مبني على الشعور بالخطيئة، والعجز وعدم استحقاق المدح، وعكسه الإعجاب بالنفس والكبرياء التي تحمل الإنسان على الرغبة في نيل المدح من الناس والارتقاء فيهم... والوداعة تماثل التواضع وتبنى عليه، وكثيراً ما تقترن به في ذكر الفضائل، وهي تحمل المسيحي على احتمال ذنوب الناس وتعدياتهم بلا غيظ ولا تذمر، ومعنى " بطول أناة " هذه صفة ثالثة يجب أن يمتاز بها المرء المسيحي، وهي تحمله على ضبط نفسه على الغضب، وأن يتمهل عن عتاب المذنبين ويعامل إخوته من البشر بالصبر على عيوبهم وتقصيرهم في شأنه) (أدب، ١٩٧٣، ١٤٤/٧) (Adib, 1970, 7/144) .

وقد جاء في رسالة بولس إلى مؤمني رومية: " مهتمين بعضكم ببعض اهتماماً واحداً غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى التواضع " (الكتاب المقدس، رسالة بولس إلى رومية ١٢/١٦) (Bible, Old Testament, Message Pouls The Into Romans, 12/16)، ويرون: (أنَّ بولس قد ذمَّ التكبر واعتبره رذيلة وهو يخاطب أهل رومية) (أدب، ١٩٧٣، ١٤٤/٧) (Adib, 1970, 7/144).

وجاء في رسالته إلى أهل غلاطية: " إنَّ ظن أحد أنه شيء وهو ليس شيئاً فإنه يغشُّ نفسه " (الكتاب المقدس، رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٦/٣) (Bible,

Old Testament, Message Pouls The Apostle to the Galatians, 3/6).

وورد في رسالته إلى أهل فيلبي وهو يحثهم على التواضع: " لا شيئاً بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم " (الكتاب المقدس، رسالة بولس إلى أهل فيلبي ٢/٣) (Bible, Old Testament, The letter to the believers of Philippi, 2/3).

وقيل: (إنَّ أهمية التواضع وانسحاق القلب أمام الله وأمام الناس، تمثل الجذور التي تنمو منها باقي الفضائل وهي الأساس الذي تبنى عليه كل الفضائل: نقاوة القلب، والوداعة، والإيمان، والمحبة، والسلام، والرحمة، والتلمذة في خدمة الرب(*)، والكرازة).

فضلاً عن ذلك في موعظة السيد المسيح على الجبل فإنه بدئها بقوله: " طوبى للمساكين بالروح لأنَّ لهم ملكوت السماوات إلى قوله : طوبى لانقياء القلب لأنهم يعاينون الله"(الكتاب المقدس،متى،٥/٣-٥) (Bible, Old Testament, Mataa, 5/3-5).

هذا ما يؤكد أهمية التواضع في حياة المرء المسيحي، داخل وخارج الكنيسة، وأنهم مدعوين للتمسك به، وإنَّ إهماله يؤدي إلى انشقاقات وخلافات في المجتمع وفي الكنيسة، وإنَّ التواضع ليس معناه أن تتغاضى عن إظهار الحق أو قوله أو الدفاع عن النفس، وإن كل هذا ممكن أن يتم بوداعة وببساطة القلب، وذلك بإيمان ثابت بعون الله، وهو لا يتم إلاّ بتواضع النفس ونقاوة القلب التي تتسع لآراء الآخرين وتتسع لضعفهم من دون تحيز أو تحقير لآرائهم، بل مقدمين الآخرين على أنفسنا في سعة الصدر وإنكار للذات) (ويحاديمتريوس، د. ت، ص٧-٩)(مسكين، ١٩٩٢، ص٦١)(Yahedimitrius, P7-9) (Mskein, 1992, P61) .

وقد ورد في رسالة بولس إلى مؤمني غلاطية وهو يعظهم ويحثهم على التواضع وعلى تحمّل الآخرين: " أيها الإخوة إن أخذ أحد في زلّة ما فأصلحوه، أنتم الروحانيون مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً. احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تتمموا ناموس المسيح " (الكتاب المقدس، رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٦/١-٢) (Bible, Old Testament, Message Pouls The Apostle to the Galatians, 6/1-2).

(*) الكرازة، وهي: الوعظ، والمناداة ببشارة الإنجيل. (معلوف، ١٩٢٨، ص٧٢١).

يرى بولس أن أساس العلاقات بين الناس، يجب أن تكون قائمة على الرحمة وتحمّل الآخر والتسامح والتواضع، ليتمموا ناموس المسيح (بسترس، ٢٠٠١، ص٢٢٥)(Bstres, 2001, P225).

المبحث الثالث

تواضع السيد المسيح

كان الأنبياء أول من يتحَلَّوْنَ بصفة التواضع، فعلى الرغم من قدرهم وإنهم كانوا أكثر الخلق علماً، إلاّ أنهم كانوا أكثر الناس تواضعاً ومشاورةً، كما عملوا على نشر الدين بكل تواضع واحترام وحب، فكانت البسمة لا تفارق وجوههم عند مقابلة الآخرين، ومن أبرزهم السيد المسيح (عليه السلام) ، ومن أمثلة التواضع التي يضربها لنا أتباعه:

١-اتضاع المسيح في ولادته:

قال القس جيمس أنس: (ورد في العهد القديم أن عذراء تحمل وتلد ابناً يدعى اسمه " عمانوئيل " الإله القدر، وغاية ما نعلمه من هذا أنَّ في الحمل يضم مبدأ غير مادي (أي النفس البشرية) إلى خلية جسد بشري لإيجاد الحياة، وعند كمال العمل التكويني يولد طفل تام. وأما الحمل بالمسيح فقد أعلن الكتاب المقدس أن جسده ونفسه كانا بقوة الروح القدس الفائقة الطبيعية من أول الأمر متحدين بالكلمة اتحاداً شخصياً، حتى أنَّ المولود من العذراء كان بالحقيقة ابن الله) (أنس، ١٩٩٩، ص٥١٣) (Aies, 1999, P513).

وقيل: (في ميلاده ولد ببساطة عجيبة، ولد من عذراء فقيرة يتيمة، كانت في رعاية نجار بسيط، وكان ميلاده في مذود للبقر، في يوم لم يكن يعرفه أحد، غير أنه أعلن لبعض الرعاة، ثم زاره ثلاثة من المجوس يمثلون البشرية كلها، إنها مزيج من البساطة والتواضع، وعاش السيد المسيح طفولة مجهولة بعيدة عن الشهرة، وفي جزء منها كان مهدداً بالسيف، مغترباً في أرض مصر، ولكنه كان مباركٌ لها) (ويحاديمتريوس، د. ت، ص١٧، ٣٦) (Yahedimitrius, P17, 36).

٢- تواضعه في تجسده:

يعتقد النصارى أن ظهور السيد المسيح على هيأة بشر إنما هو تواضعاً منه، ويستدلون بما ورد في النص الإنجيلي: " فليكن هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبداً صائراً في شبه الناس. وإذا وجد في الهيأة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب " (الكتاب المقدس، رسالة بولس إلى أهل

فيلبي ٢/٥-٨) (Bible, Old Testament, The letter to the believers of Philippi, 2/5-8). يتبين من النصوص السابقة أن بولس ينسب التجسد إلى السيد المسيح أثناء أداء رساله، وقد جاء في تفسيرهم لهذه النصوص: (لو أن يسوع مخلوق بشري وعادل نفسه بالله لحسب مسلكه هذا خلسة، سرق مجد اله، ونسب لنفسه ما لله، لكنه كلمة الله المتجسدة، فما فعله هو من قبيل حبه وتواضعه، إذ اتصف بصفات الإنسان... لا أنه لا يزال هو الله في ذات جوهره بلا تغير ولا تبديل، وليس معنى قول الرسول: إنه فقدَ هذه الصورة عندما اتخذ صورة العبد، بل إنه يملك صورة الله قبل التجسد وبعد التجسد وإلى الأبد) (ملطي، ٢٠٠٦، ص٥٩) (Maltei, 2006, P59). تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وقيل: (إنَّ اتضاع المسيح في تجسده حسب تعليم الكتاب لا يقتصر على مجرد اتخاذ الطبيعة البشرية، بل يشمل أيضاً كل ما يتعلق بحياته على أرضنا. ولما صار عبداً كان مهده مذوداً وصار فقيراً حتى لم يكن له أين يسند رأسه، وظهر بلا صورة ولا جمال، مخذولاً من الناس، كان ذلك من التنازل الذي يفوق كل الإدراك. وله في العقل والقلب قوة أعظم جداً مما لو ظهر في صورة ملك أرضي، ثوبه من أرجوان وتاجه من ذهب. فنسجد عند قدميه المتضع باحترام ومحبة أكثر جداً مما لو ظهر كسليمان في كل مجده، قيل في رسالة فيلبي: وإذا وجد في الهيأة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب، وقد أخطأ البعض في تفسير قول الرسول: " وضع نفسه " وقالوا: إنَّ المسيح أخلى نفسه من اللاهوت وصار إنساناً فقط مدة بقائه في حال الاتضاع. والصحيح أن رسالة فيلبي تقول: إنَّ ابن الله صار في حال الاتضاع مدة حياته على الأرض، أي أن تجسده كان من باب الاتضاع. على أن لاهوت المسيح لم يزل كما هو بدون تغيير في جوهره، لكنه اقترن بطبيعة بشرية في حال الاتضاع. فيكون المسيح وضع نفسه باعتبار ناسوته لا لاهوته. فإنَّ لاهوته لم يخسر شيئاً من مجده وقدرته، لكن شخصه المتجسد اتضع للطاعة والموت) (أنس، ١٩٩٩، ص٥١٣-٥١٤) (Anas, 1999, P513-514).

يتضح مما سبق، أنهم يعدُّون السيد المسيح (عليه السلام) إلهاً على الأرض على هيأة بشر، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٣- من صور تواضعه خضوعه للناموس:

فقد جاء في الإنجيل قول السيد المسيح: " لا تظنوا أني جئتُ لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئتُ لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء

والأرض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات، فإني أقول لكم: إنكم إن لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخل ملكوت السماوات "(الكتاب المقدس، متى ٥/١٧-١٨) (Bible, Old Testament, Mataa, 5/17-18) قيل: (وضع المسيح تحت الناموس جزءاً من اتضاعه؛ لأنَّ ذلك مما ينزله منزلة الناس، فإنَّ الناموس يشمل ثلاثة أمور:

أولاً: عهد الأعمال الذي أعطاه الله لآدم، وجعل شرط الحياة فيه الطاعة التامة.

ثانياً: شريعة موسى التي فرضت على بني إسرائيل.

ثالثاً: الشريعة الأخلاقية، وهي قانون الواجبات على الناس.

وقد خضع المسيح لهذه الأمور الثلاثة؛ لأنه تعهّد بإكمال كل البر، أي يعمل كل ما يطلبه الناموس على الأنواع المختلفة.

وكان هذا الخضوع اختيارياً؛ لأنَّ المسيح تجسد باختباره وتعهد بكل ما يقتضيه تجسده من تلقاء إرادته(أنس، ١٩٩٩، ص٥١٤) (Anas, 1999, P514) (ويحاديمتريوس، د. ت، ص٣٧) (Yahedimitrius, P37).

٤-تواضعه أنه تعمّد على يد يوحنا المعمدان (ويحاديمتريوس، د. ت، ص٣٧) (Yahedimitrius, P37):

كما جاء في الكتاب المقدس: " حينئذٍ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إليَّ، فأجاب يسوع وقال له: أسمح الآن؛ لأنّه هكذا يليق بنا أن نكمل برٍ. حينئذٍ سمح له" (الكتاب المقدس، متى ٥/١٣-١٤) (Bible, Old Testament, Mataa, 5/17-18).

يتبين من النصوص السابقة، أن النبي يحيى (عليه السلام) عندما كان يطهّر الناس بالماء ليتوبوا عن خطاياهم وذنوبهم كشرط التطهير بالماء، فقد قام بالتطهير بالماء ليعلن تواضعه على الرغم من أنه (عليه السلام) كان بلا ذنوب أو خطايا يتوب عنها.

٥-تواضعه أنه مجَّد تلاميذه (ويحاديمتريوس، د. ت، ص٣٩) (Yahedimitrius, P39):

ويستدلون بذلك قول السيد المسيح للرب: " وأنا قد أعطيتهم المجد الذي اعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم إنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني، أيها الأب أريد أن هؤلاء

الـذين أعطيتنـي يكونـون معـي حيـث أكـون لينظـروا مجـدي الـذي أعطيتنـي لأنـك أحببتنـي قبـل إنشـاء العـالم " (الكتـاب المقدس، يوحنـا ١٧/٢٢-٢٣) (Bible, Old Testament, Ywhna, 5/17-18). وبعد تمجيده لهم أعطاهم الحق بأن تبنى كنائس ومذابح بأسمائهم وتوقد لهم الشموع، وترتل لهم المدائح (ويحاديمتريوس، د. ت، ص٣٩) (Yahedimitrius, P39).

يعتقد النصارى أن الرب قد مجّد السيد المسيح، وإن السيد المسيح بتواضعه قام بتمجيد تلاميذه، كما مذكور في بطون الكتاب المقدس.

وجاء في تواضعَ المسيح (عليه السلام) أمام تلاميذه فقال: " من وضع نفسه ارتفع"(الكتاب المقدس، متى ٢٣/١٢) (Bible, Old Testament, Mataa, 12/23). فأنهم يرون ومن أفعاله أنه تواضع أمامهم فوطّد سلطانه على قلوبهم، عندما قام بغسل أرجلهم، فازداد في عيونهم مكانةً ومهابةً وألقى عليهم مثالاً من التواضع (اليسوعي، د. ت، ص٥١) (Alyasuai, P51). كما ورد في إنجيل يوحنا: " قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتّزرَ بها . ثم صبَّ ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها... " (الكتاب المقدس، يوحنا ١٣/٤-١٣) (Bible, Old Testament, Ywhna, 13/4-13).

وبهذا دخلت فضيلة التواضع في الناموس المسيحي كجزء قانوني في صميم الديانة، فأصبح الإنسان المسيحي في ممارسته للتواضع لا يكون كمن يقتني عملاً فاضلاً زائداً عن الناموس المسيحي بل كمن يخضع لله (مسكين، ١٩٩٢، ص٧٢) (Mskein, 1992, P72).

ومن صور تواضعه، كان يحث أتباعه على التواضع أمام الله، وذلك عندما سألوه من أعظم شأناً في مملكة الله، فقد جاء في نص ذلك: " في تلك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين: فمن هو أعظم في ملكوت السماوات، فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه في وسطهم. وقال: الحق أقول لكم: إنْ لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد ولن تدخل ملكوت السماوات. فمن وضع نفسه مثل هذا الولد، فهو الأعظم في ملكوت السماوات. ومن قبلَ ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني " (الكتاب المقدس، متى ١٨/١-٥) (Bible, Old Testament, Mataa, 18/1-5).

يتبين مما سبق، أن السيد المسيح استدعى طفلاً وطلب منه الوقوف في وسطهم، قائلاً لهم: إنْ لم تتغيروا وتتواضعوا مثل الطفل بغير مراكز أو مراتب، فلن

يكـون بمقـدوركم الانضـمام إلـى مملكـة الله. فكـان يحـثهم علـى التواضـع أمـام الله، والخضوع له كأنهم أطفال معتمدين بشكل تام على والديهم.

٦-تواضعه بأنه تحمّل خطايا العالم:

فقـد ورد فـي الـنص الإنجيلـي: " لأنـه جعـل الـذي لـم يعـرف خطيئـة. خطيئـة لأجلنـا نحـن بـر الله فيـه" (الكتـاب المقـدس، رسـالة بـولس الثانيـة إلـى أهـل كودنثـوس ٢١/١٥) (Bible, Old Testament, Message Pouls The Apostle To the people of Codenatus, 12/23). إنَّ جزءاً من تواضعه أنه جعل صلبه واضـحاً أمـام النـاس كلهـم، بينمـا قيامتـه لـم يظهرهـا إلاّ لأفـراد قلائـل، لـذا علينـا إتباعـه في التواضع (ويحاديمتريوس، د. ت، ص٤٠) (Yahedimitrius, P40).

يتضـح ممـا سـبق، أن مـن صـور تواضـع السـيد المسـيح، أنـه ولـد علـى هيـأة بشـر، وكـان خاضـعاً للنـاموس، وحـثَّ أتباعـه علـى ذلـك، وإنـه تحمّـل الآلام وخطايـا النـاس علـى وفـق تعـاليم الكتـاب المقـدس، فكـان السـيد المسـيح المثـال الحـي المتجسـد لفضـيلة التواضع في الديانة المسيحية.

الخاتِمـة:

الحمـد لله ربّ العـالمين الـذي أعـانني علـى إتمـام هـذا البحـث المتواضـع، فـأهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال هذه الدراسة يمكن أن أختصرها في الآتي:

١- إنَّ التواضع صفة محمودة وسبيل لنيل رضا الله سبحانه وتعالى، وقد جعل الله سبحانه وتعالى سُنّة جارية في خلقه أن يرفع المتواضعين لجلاله، وأن يذلّ المتكبرين المُتجبرين. وقد حثَّ الكتاب المقدس على التواضع من خلال نصوصه التي ما برحت تذكّر المؤمنين بين الحين والآخر.

٢- يرى أتباع السيد المسيح أن تواضعه بدأ من أول وهلة، عندما ولد في مكان بسيط، وكان مهدداً بالسيف مغترباً في أرض مصر، فضلاً عن ذلك نشأته في بيئة فقيرة غايتها نشر المحبة والسلام.

٣- ومن تواضعه أنه طلب أن يتعمد على يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن.

٤- ومن تواضعه أيضاً قام بغسل أرجل تلاميذه معلماً إيّاهم صورة من صور التواضع، فكان المثال الحي المتجسد لفضيلة التواضع في الديانة المسيحية.

قائمة المصادر والمراجع:

١- ابـن منظـور، الإمـام العلاّمـة جمـال الـدين أبـي الفضـل محمد بـن مكـرم الأنصـاري الإفريقـي المصـري(ت ٧١١هـ)، (٢٠٠٣): لسـان العـرب ، تحقيـق: عـامر أحمـد حيـدر، مراجعـة: عبـد النعيم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.

٢- أدي، د. وليم (١٩٧٣): الكنز الجليل في تفسير الإنجيل – شرح: غلاطية إلى فليمون، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأوسط، بيروت – لبنان.
٣- أنس، القس جيمس (١٩٩٩): علم اللاهوت النظامي، راجعه ونقحه وأضاف إليه: د. القس منيس عبد النور، دار الطباعة القومية بالفجالة، مصر.
٤- البابا شنودة الثالث (٢٠٠١): حياة التواضع والوداعة، جريدة وطني، مصر.
٥- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة – مصر.
٦- حبيب، د. القس صموئيل، وآخرون (١٩٩٦): دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، القاهرة– مصر.
٧- الرازي، الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (٢٠٠٨): مختار الصحاح، قراءة وضبط وشرح: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.
٨- صليبا، د. جميل (١٩٨٢): المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان.
٩- الكتاب المقدس، العهد القديم – العهد الجديد (١٩٨٨)، وقد ترجم إلى اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
١٠- مسكين، الأب متى (١٩٩٢): الفضائل المسيحية حسب الإنجلي، مطبعة القديس انبامقار، القاهرة – مصر.
١١- معلوف، لويس (١٩٢٨): المنجد، الطبعة الخامسة .
١٢- نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين (٢٠١١): قاموس الكتاب المقدس، هيأة التحرير: د. بطرس عبد الملك، د. جون الكساندر طمسن، أ. إبراهيم مطر، إصدار: مجمع الكنائس في الشرق الأوسط، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة عشر.
١٣- ويحاديمتريوس، موريس، (دون تاريخ): الاتضاع أم الفضائل، دون دار الطبع والطبعة.
١٤- يسترس ، المطران كيرلس سليم (٢٠٠١): سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم – مقالات في الأخلاق والحياة المسيحية، منشورات المكتبة البوليسية، الطبعة الأولى.
١٥- اليسوعي، الأب بولس إلياس (دون تاريخ): يسوع المسيح، شخصيته – تعاليمه، منشورات المطبعة الكاثوليكية، توزيع: المكتبة الشرقية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.
١٦- اليسوعي، الأب كزافييه ليون دوفور (١٩٨٨): معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.

List of sources and references:

1- Ibn Manzoor, Imam Jamal Al-Din Abu Al-Fadl Muhammad ibn Makram Al-Ansari, the African-Egyptian (711 H.), (2003): The Tongue of the Arabs, Achievement: Amer Ahmad Haidar, Review: Abdul Naim Khalil Ibrahim, Scientific Books House, Beirut - Lebanon, second edition.
2- Adib, Dr. William (1973): The Great Treasure in the Interpretation of the Bible - Explanation: Galatians to Philemon, Issued by the Council of Churches in the Middle East, Beirut – Lebanon.
3- Anas, Rev. James (1999): Systematic Theology, revised and revised and added: Rev. Mounis Abdel Nour, National Printing House in Faggala, Egypt.

4- Pope Shenouda III (2001): A Life of Humility and Meekness, Watani Newspaper, Egypt.
5- Applied Interpretation of the Bible, Master Media, Cairo, Egypt.
6- Habib, Dr. Rev. Samuel, et al. (1996): Biblical Encyclopedia, House of Culture, Cairo, Egypt.
7- Al-Razi, Sheikh Imam Muhammad Ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir (2008): Mukhtar Al-Sahah, reading, adjusting and explaining: Dr.Mohammed Nabil Tarifi, Dar Sader, Beirut - Lebanon, first edition.
8- Saliba, Dr. Jameel (1982): Philosophical Dictionary of Arabic, French, English and Latin.
9- Bible, Old Testament - New Testament (1988), translated into native languages, Middle East Bible House.
10- Mskein, Father Mattha (1992): Christian Virtues According to the Evangelist, St. Annambar's Press, Cairo, Egypt.
11- Maalouf, Lewis (1928): Al-Munajjid, Fifth Edition
12- Selected professors and theologians (2011): Dictionary of the Bible, Editorial Board: d. Boutros Abdel Malik, Dr. John Alexander Thompson, a. Ibrahim Matar, Publication: The Church Complex in the Middle East, Beirut, Lebanon, 15th edition.
13- Yahedimitrius, Morris (undated): humility or virtues, without printing house.
14- Yesters, Bishop Cyril Selim (2001): The series of Christian thought between yesterday and today - Essays on Christian ethics and life, Police Library Publications, 1st ed.
15- Alyasuai, Father Paul Elias (undated): Jesus Christ, his character - his teachings, Catholic Press publications, distribution: Oriental Library, Beirut - Lebanon, second edition.
16- Alyasuai, Father Xavier Leon Dufour (1988): Dictionary of Biblical Theology, Dar Al-Mashriq, Beirut - Lebanon, 2nd edition.

Humility in Christianity
Descriptive Study

A.M. D. Khaled Ahmed Hussein
nasermkei@yahoo.com

Abstract:

Humility is assign of the Purity of the soul and safety of the heart from the disease of pride and arrogance. It represents an important side of the formation of man's character and his behavior since it calls for love, intimacy and connection and a means to free the heart from the chains of envy and grudge. The word Humility (humbleness) appeared in the holy bible in many places. A accordingly, Christianity urged for sticking to it by its followers. The study aims at showing the meaning of humbleness, its importance and example of the humbleness of Jesus Christ (Peace be upon him) under the title (humbleness in Christianity/A Descriptions study).

The paper falls into an introduction and three sections. The introduction talks about the meaning of humbleness in language and in terminology. The first section limits islet to the study of humbleness in the bible and the seared shows the importance of humbleness. The third section deals with the humbleness of Jesus Christ (peace be upon him).

Keywords: Bible, Christ, humility, reverence